

زيارة تُعيد ضبط بوصلة العالم تغيير الخط بل رسالة دبلوماسية عالية النغمة، مفادها أن السعودية اليوم شريك لا غنى عنه في صياغة الحلول الكبرى، وهي أيضاً تأكيد على أن العلاقات بين الرياض وواشنطن قادرة على التطور رغم اختلاف وجهات النظر. في الثامن عشر من نوفمبر الجاري، وهي أعلى مستويات الزيارات في الأعراف الدبلوماسية، بما تحمله من رمزية ومكانة سياسية لا تُمنح إلا لشركاء يحظون بثقة استثنائية، بل يمكن القول إنها محطة مفصلية تأتي في لحظةٍ شديدة الحساسية إقليمياً ودولياً، وتفتح الباب أمام مرحلة جديدة من التنسيق بين الرياض وواشنطن، في ظل إدارة أميركية تستعد لولاية ثانية للرئيس دونالد ترامب. أن تكون السعودية أول دولة في العالم تُجري زيارة دولة إلى الولايات المتحدة في عهد ترامب الثاني، وعلى ما تمثله المملكة من ثقل استراتيجي في ملفات الطاقة والاقتصاد والأمن الإقليمي. وإنها تمضي بثقة لتعيد ترتيب أولويات المنطقة على أساس من الواقعية والندية والشراكة. وفق رؤيةٍ تتجاوز حدود الجغرافيا إلى مفهوم الأمن الشامل. واليوم، من اليمن إلى غزة، وبفضل نهج الدبلوماسية السعودية القائم على الحوار دون تنازل، والانفتاح دون تفريط، والسيادة مقابل الاحترام المتبادل. وهي تستعد لاستقبال ولي العهد في زيارة دولة بكل مراسمها البروتوكولية الرفيعة، تدرك أن الحديث مع السعودية لم يعد حديث مصالح ضيقة، بل حديثاً عن مستقبل النظام الدولي. بل هي قوة اقتصادية صاعدة تستثمر في التحول الأخضر، وتبادر إلى طرح حلولٍ لأزمات الاقتصاد العالمي. ومن جهة أخرى، الأمير محمد بن سلمان يدخل واشنطن هذه المرة من موقع مختلف؛ ليس كحليفٍ تقليدي، فبينما تبحث واشنطن عن شركاء يضمنون الاستقرار بعيداً عن المغامرات، تقدّم الرياض نفسها كضامنٍ فعلي للاستقرار، عبر سياساتٍ مسؤولة تدعم السلام وتواجه التطرف وتحافظ على توازن أسواق الطاقة العالمية. زيارة الدولة هذه ستكون بمثابة إعلانٍ عن مرحلة جديدة في العلاقات السعودية - الأميركية، قوامها الشراكة المتكافئة والرؤية المشتركة للمستقبل. فهي تأتي في لحظة تتقاطع فيها المبادرات السعودية مع إعادة ترتيب ملفات الشرق الأوسط. وسعت لإعادة لبنان إلى محيطه العربي، وطرحت رؤية أكثر واقعية للقضية الفلسطينية قائمة على حل الدولتين وضمان الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني. لا مبالغة في القول إن الأمير محمد بن سلمان بات اليوم أحد أبرز صنّاع التوازن الدولي. فالمملكة في عهده تحولت من موقع الدفاع إلى موقع الفعل والمبادرة، واثقة، وتخاطب العالم بلغة المستقبل. بل رسالة دبلوماسية عالية النغمة، مفادها أن السعودية اليوم شريك لا غنى عنه في صياغة الحلول الكبرى، والرغبة في الاستقرار، والإيمان بضرورة التنمية كخيار استراتيجي. إنها زيارة بحجم دولة وبعمق رؤية.